

## الفصل الرابع

### الطاعنون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا إِلَسِنَاهُمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلُوا أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّمْ يَكْفُرْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء - الآية ٤٦]

١

كان يهود المدينة منذ قديم الأزل، يجدون صفة رسول الله ﷺ عندهم فى التوراة، وكانوا كلما دارت عليهم الدوائر، أو أغار عليهم نفر من العرب يؤذونهم، يسألون الله عز وعلأ أن يبعثه فكانوا يقولون:

- اللهم ابعث النبى الأمى الذى نجده فى التوراة، والذى وعدتنا أنك باعته فى آخر الزمان.

فإذا ما قاتلوه، يستفتحون عليهم، ويقولون:

- اللهم إنا نستنصرك بحق محمد النبى الأمى؛ إلا نصرتنا عليهم.

ولأنهم كثيرا ما انتصروا بدعائهم، كان الأوس والخزرج - منذ عاد كبراؤهم من مكة يحملون دين الله - يبشرون قومهم، ويحضونهم ليدخلوا فى دين الله، ويحذرونهم أن يسارع اليهود إلى الإسلام، فتكون لهم الكثرة والفضل عليهم، ولكن اليهود لم يسعوا ولم يسارعوا إلى داعى الحق؛ على رغم كونهم كثيرا ما أعلنوا الأوس والخزرج منذرين ومخوفين، بقدوم النبى الخاتم، وأنهم سينضمون إليه، ويحاربوهم معه، فيقتلونهم، ويشردون بهم، فما زالوا ينظرون إلى الأوس والخزرج - على رغم مرور مئات السنين على هجرتهم من اليمن إلى طيبة - على أنهم دخلاء على بلادهم؛ وأن هودا هم وحدهم الأحق بطيبة وما حولها، على رغم أنهم هم أيضا قد جاءوها مهاجرين، فلم تكن اليهود هى الأصول الأولى التى سكنت طيبة، وكانوا يقولون:

- سيبعث نبى هذا أوأنه، نؤمن به ونقتلكم معه قتل عاد وآرم..

وظن الأوس والخزرج أن هودا ينتظرون قدوم رسول الله إليهم، ليعلنوا إسلامهم، فلما وفد رسول الله ﷺ إلى طيبة، ظل اليهود على دينهم، ولم يتسابق بنو قريظة وبنو النضير على رسول الله ﷺ، ليدخلوا فى الإسلام، بل إذا بهم لما عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام يرفضون، وقالوا:

- سمعنا وعصينا.



- إن لكل نبي ملكا من الملائكة يأتيه من عند ربه بالرسالة والوحى، فمن صاحبك حتى نتبعك؟  
فلما قال رسول الله ﷺ:

- جبريل.

طاعنه اليهود، قائلين:

- ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال، هو عدونا، لو قلت إن صاحبك ميكائيل الذى ينزل بالقطر  
والرحمة لتابعناك.

ونزل على نبي الله ﷺ رد رب العالمين: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ  
اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة - الآية ٩٧).. وحين  
سمعوا بتوعد رب العالمين لهم بالعذاب، زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وما هم بمعذبين، وكذبهم الحق  
سبحانه وتعالى، وجاءهم السؤال مفحما:

- ﴿فَلَمْ يَعِدْكُمْ بِدُؤَيْكُمْ﴾ (سورة المائدة - الآية ١٨).

لم يستسلموا، وراحوا يهاجمون دين الله، وقالوا إن «ورقة بن نوفل» هو من ألقى على محمد هذه  
الكلمات، ولقد كان «ورقة» من قبل يهوديا، ثم ترك اليهودية إلى النصرانية، ولكن الله سبحانه رد  
عليهم كذبهم، وتنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وأنبأه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ  
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل - الآية ١٠٣).

وصدق رب العالمين، فلقد كان ما يتلو ورقة بلغة العجم، بينما تنزل القرآن بلغة عربية، تكريما للنبي  
العربى ﷺ، ولم يستح اليهود، بل راحوا يدعون بغير ما جاءهم به موسى من عند ربه، وهذا غير  
مستغرب، فقد سبق وأنكر بعضهم النبوة عن موسى عليه السلام، بعد أن خاف كهنتهم على سلطانهم،  
وخاف أغنياؤهم على ثرواتهم، وحرص هؤلاء وهؤلاء على الجاه الذى يجدونه فى الدنيا، ويمكنهم من  
أن يختصوا أنفسهم بالكبر والتكبر والتعالى على خلق الله.

فإذا ما اشتد عليهم الدليل، وأعوذهم المخرج فلم يجدوه، كانوا يمالئون رسول الله ﷺ، وهم يضمرون  
غير ما يبديون، فإذا لقوه، قالوا:

- راعنا.

وهى كلمة تحمل معنيين، معناها بالعربية: طيب يحمل التقدير والعرفان، ومعناها بلغة اليهود:  
يحمل السخرية والاستهزاء، وما أرادوا غير الأخير، طعنا فى نبي الله ﷺ، ونزل جبريل عليه السلام،  
محذرا وموضحا، بقول الله عز وعلا علوا كبيرا: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا  
وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنفَعَنَا شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ وَذَعَبْنَا لِيَأْخُذَهُمُ اللَّهُ فِي آيَاتِهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا  
وَعَصَيْنَا لَكُنَّا عَالِمِينَ﴾ (سورة البقرة - الآية ١٧٥).

وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ حَرِيْرًا هُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللهُ يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيْلًا ﴿٤٦﴾

[سورة النساء الآية ٤٦].

ومن أجل هذا ما إن سمعها منهم «سعد بن معاذ» وكان يعرف لغة اليهود، حتى ذهب إلى كبارهم غضبان، وقال لهم:

- عليكم لعنة الله، لأن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ لأضربن عنقه.

قالت اليهود:

- أستم تقولونها.

وكان بعض المسلمين يقولونها لرسول الله ﷺ، لذا نهاهم الله عن ذلك: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَفُؤُلًا أَنْظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة البقرة - الآية ١٠٤].

ولم يعد المسلمون لقولها، أما هود فلم يرتدعوا، واستمروا على كراهيتهم لرسول الله ﷺ، وفي ليهم للكلام ليا.

مر بببيت رسول الله ﷺ جماعة من اليهود، فقالوا:

- السام عليكم.

فأجابهم رسول الله ﷺ:

- عليكم مثل ما قلت.

وغضبت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وقالت لهم:

- عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم.

قال لها رسول الله ﷺ:

- بالرفق، وإياك والعنف والفحش.

قالت أم المؤمنين رضى الله عنها:

- أولم تسمع ما قالوا؟!.

قال رسول الله ﷺ:

- أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم ما قالوا، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في.

وحين أعيبتهم الأقوال والادعاءات، قالوا:

- إن محمدا يتجه في صلاته إلى المسجد الأقصى تابعا لقبيلتنا، وإنه بهذا قد تنازل لنا عن نصف دينه.

ولما بلغ قولهم رسول الله ﷺ شق عليه، ورفع وجهه إلى السماء وراح يقلب بصره ضارعا إلى الله أن يرد كيد اليهود.

وعلى رغم هذا جميعه، أعلن رسول الله ﷺ كتاب العهد بينه وبينهم، فلقد أراد أن يوحد جهوده لتربية الأجيال الجديدة من المسلمين، ولإنشاء مجتمع المدينة على أسس إسلامية، توضح العلاقة بين المسلمين، وغيرهم من أصحاب النحل الأخرى.

وكتب رسول الله ﷺ معاهدة بذلك، جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي بين: المسلمين من قريش وطيبة، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس».

المهاجرون من قريش على ربتهم، يتعاقلون بينهم، وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو جشم على ربتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النجار على ربتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عمرو بن عوف على ربتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وإن المؤمنين لا يتركون ذا غرم مفتح بينهم، بل يجب أن يعطوه بالمعروف فداء أو عقلا. وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو سعى بينهم بظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيدهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن.

وإن ذمة الله واحدة، يجير عاليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

وإن من تبعنا من يهود، فله النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

وإن كل غازية غزيت بها معنا يعقب بعضها بعضا.

وإن المؤمنين يكف بعضهم عن بعض، ويعاون بعضهم بعضا في سبيل الله.

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا فإنه يقتل إلا أن يرضى

ولى المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مجرما أو يحميه

أو يؤويه، وإن نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ.  
 وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف.  
 وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف.  
 وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف.  
 وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف.  
 وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف.  
 ومثل ذلك بقية اليهود، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يهلك إلا نفسه.  
 وإن البر دون الإثم، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم.  
 وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فينفسه  
 فتك وأهل بيته.

وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب من أهل هذه  
 الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون إثم، وإنه لا يأتهم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم،  
 وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.  
 وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل،  
 وإلى محمد ﷺ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم طيبة، وإذا دعوا إلى صلح  
 يصلحونه ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين  
 إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبيهم الذى قبلهم. وأن يهود الأوس مواليتهم  
 وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحصن، من أهل هذه الصحيفة.»

#### ٤

أعلن اليهود رضاهم عن المعاهدة وأقروا بها، وهو إقرار المغلوب على أمره، وإن أضرموا غير ما أبطنوا،  
 وأصبحوا كالسوس الذى ينخر باطن الخشب دون ظاهره، ليهلكه ويدمره، فجعلوا كل همهم أن يلغوا  
 الأثرة التى أبداها الأنصار للمهاجرين، فكانوا يتقربون إلى الأنصار، يظهرون لهم النصح، ويضمرون  
 الشر، قائلين:

- لا تنفقوا أموالكم على من أسلم، فإننا نخشى عليكم الفقر فى ذهاب دين محمد، ولا تسرفوا فى  
 الثقة، فإنكم لا تدرون علام يكون محمد؟.

فأظهر الله قولهم، ونزل جبريل بقول عالم الغيب: ﴿الَّذِينَ يَبَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ  
 بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا  
 مُّهِمًّا﴾ [سورة النساء - الآية ٣٧].

كف اليهود عن وسوستهم للأنصار، بعد أن كشف الله سترهم، وانقلبوا يحاولون الوقعة بينهم، فلقد حالهم ذلك التآلف الذى ساد بين الأوس والخزرج، فأصبحوا بفضل من الله إخوانا متحابين، ولقد حاولوا الوقعة بينهم أكثر من مرة، ولكن الله أطفأ نار الفتنة التى أرادوا إشعالها، لكنهم لا ييأسون، ويكررون المحاولة عقب المحاولة، وذات يوم جلس شاس بن قيس - وهو من زعماء اليهود - وراح يدير الحديث بين جماعة من الأنصار، ليلتف به كالأفعى ويصل إلى ما كان فى القديم بين القبيلتين من قتال، حتى تذاكر القوم ما قاله شعراؤهم، ونزغ الشيطان اللعين بينهم، فاشتد القول، وتنازوا، واستيقظت الفتنة، فتنادوا إلى السلاح، وقالوا:

- تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت.

ونادى رجل من الأوس:

- يا لأوساه.

ونادى رجل من الخزرج:

- يا للخزرج.

وتحول كل فريق من القبيلتين إلى الانحياز لقبيلته، وتواجهت جموع القبيلتين مستنفرين للقتال، ووصل الخبر إلى رسول الله ﷺ وكان فى مجلسه بالمسجد، فأسرع إليهم ومعه نفر من المهاجرين، ووقفوا يفصلون بين الفريقين، ليحولوا بينهم وبين التضارب، وقال الحبيب ﷺ مذكرا، قائلا فى أسف:

- يا معشر المسلمين، الله، الله، أذعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وألفكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر، وألف بينكم بالإسلام!؟

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ طٰٓغِيُوۡا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتُوا۟ الْكِتٰٓبَ يُرَدُّوۡكُمْ بَعْدَ اِيۡمٰنِكُمْ كٰفِرِيۡنَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُوۡنَ وَاَنْتُمْ تُتْلٰٓى عَلَيۡكُمْ ءَايٰتُ اللّٰهِ وَفِيۡكُمْ رَسُوۡلُهُۥۗ وَمَن يَّعۡصِمۡ بِاللّٰهِ فَقَدۡ هٰدٰىۤ اِلٰى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيۡمٍ ﴿١٠١﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيۡنَ ءَامَنُوۡا اَتَعۡوۡا اللّٰهَ حَقَّ تَعٰلٰٓيِهِۦٓ وَلَا تَمُوۡنَۙ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوۡنَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران - الآيات ١٠٠ : ١٠٢].

وماتت نعمة الجاهلية فى قلوب الأنصار، وطفرت الدموع أسفا على ما فرطوا فى حق الله، وهرب الشيطان من بينهم وهو يرى اتبعات نور الله فى القلوب، واتنبه القوم إلى أنهم قد سقطوا فى الفتنة، فتمكن منهم الشيطان ونزغ بينهم، فألقوا سيوفهم وحرابهم، وأزاح الله ما بهم من طائف الشيطان، وتعانقوا فى صفاء الاخوة، وأكلت نار الفشل أكباد اليهود.

وراح إبليس يتلظى من الغيظ..

٥

على رغم كل ما أضمر اليهود، وأعلنوا، وكادوا، لم ينكث رسول الله ﷺ فيما واثقهم عليه، بل كان يصبر، ويجادلهم بالتى هى أحسن، فهكذا علمه ربه، وهم لا يستحون من الله سبحانه وتعالى، ولا من رسوله ﷺ، فحين سمعوا بقول الله عز من قائل:

-- ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ  
يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ [سورة الإسراء - الآية ١٠١].

جاء رسول الله ﷺ رهط منهم، يسألونه عن ماهية هذه الآيات التسع، وكأنهم سوف يعجزونه،  
ويوقعون به في شرك الجهل، ولكنه ﷺ قال لهم:  
- لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا،  
ولا تسحروا، ولا تمشوا بيريئ إلى سلطان، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، وعليكم يا يهود خاصة:  
ألا تعتدوا في السبت.

فقبلوا يديه ورجليه قائلين:

- نشهد أنك نبي.

قال رسول الله ﷺ:

- ما يمنعكم أن تسلموا؟

قالوا:

- نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا يهود، فنحن ضعفاء بينهم.

ولم يكن يهود المدينة هم المجادلين وحدهم، بل لقد استقدموا حبريين من عتاة العلم من أحناب  
الشام، فلما دخلا على النبي ﷺ، عرفا فيه مما كان مذكورا عندهم في الكتاب، فقالا له:

- أنت محمد؟

قال رسول الله ﷺ:

- نعم.

قال الحبران:

- وأنت أحمد.

قال رسول الله ﷺ:

- نعم.

قالا:

- نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها، آمنا بك وصدقناك.

قال رسول الله ﷺ:

- سلا ما تريدان.

قالا:

- اخبرنا عن الأعظم شهادة في كتاب الله.

قال رسول الله ﷺ:

- قال الله عز و علا ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ (١٨)

[سورة آل عمران - الآية ١٨].

فشهد الحبران، وأسلما، وحسن إسلامهما.

ساء يهود المدينة ما حدث فشحذوا الهمم، واستنجدوا بشياطينهم، ثم جاءوا رسول الله ﷺ يواصلون انطاعنة، قائلين:

- يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟.

غضب النبي ﷺ أشد الغضب لربه، حتى امتقع لونه، وجاءه جبريل عليه السلام، فقال له:

- خفف عليك يا محمد، يقول ربك تبارك وتعالى: ﴿ لَتَسْبُلُونَ فِي آَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَرْتُمْ وَإِنْ نَصَرْتُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (سورة آل عمران - الآية ١٨٦).

وصدع نبي الله للأمر، وهدأ من انفعاله، وتنزل من عند الله عز و علا علوا كبيرا، ردا على ما قيل:

- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ (٤) ﴾

[سورة الإخلاص - الآيات ١ : ٤].

- صف لنا يا محمد ربك: كيف خلقه، كيف ذراعه، كيف عضده؟.

فاشتعل غضب رسول الله ﷺ لربه ثانية، فاتاه جبريل فهون عليه، ونزل قول الله

سيحانه وتعالى:

- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۝ (٦٧) ﴾

[سورة الزمر - الآية ٦٧].

وبعد أن سمعها هود، قاموا يتكفأون على وجوههم، وقد أخزاهم الله.

ولكن هل للمطموس على قلبه أن يدرك؟..

جاءت رسول الله ﷺ جماعة من اليهود، فقالوا:

- يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها، لا يعلمها إلا نبي.

قال رسول الله ﷺ سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله عز وجل، وما أخذ يعقوب على

بنيه، لئن حدثتكم لتتبعنني.

قال اليهود:

- فذلك لك.

ثم استطردوا قائلين:

- أربع خلال نسألك عنها: أى طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟.. وأخبرنا

كيف يشبه الولد أمه، وإنما النطفة من الرجل؟.. وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي فى النوم، ومن يليه

من الملائكة؟.. وأخبرنا ما هذا الرعد؟.

قال رسول الله ﷺ:

- أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا طال سقمه: فنذر لئن عافاه الله عز وجل، ليحرمن أحب الطعام والشراب، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها.

قالت اليهود:

- اللهم نعم، اللهم اشهد.

قال رسول الله ﷺ:

- أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان الولد والشبه بإذن الله عز وجل، إن علا ماء الرجل كان الشبه للرجل بإذن الله تعالى، وإن علا ماء المرأة كان الشبه للمرأة بإذن الله تعالى.

قالت اليهود:

- اللهم نعم، اللهم اشهد.

قال رسول الله ﷺ:

- فأنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن النبی الأمى تنام عينه ولا ينام قلبه.

قالت اليهود:

- اللهم نعم، اللهم اشهد.

ثم استطردوا قائلين:

- أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نجامعك أو نفارقك.

قال رسول الله ﷺ:

- وليى جبريل، ولم يبعث الله عز وجل نبيا قط إلا وهو وليه.

قالت اليهود:

- فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك.

قال رسول الله ﷺ:

- فما يمنعكم أن تصدقوني؟.

قالت يهود:

- هذا عدونا من الملائكة.

وقال الله تعالى فيهم:

- ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة - الآية ١٠٠].  
وانصرف هود غير مصدقين، فما كانوا مؤمنين، وما كانوا يبحثون عن الحق والحقيقة، ولكنه الأمل

فى هزيمة رسول الله ﷺ يداعب أحلامهم، لهذا لم يكفوا جماعات وأفرادا عن السعى بطنهم إلى المنتصر ﷺ.

٦

جاء رسول الله ﷺ، حبر من يهود فقال:

– أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟

قال رسول الله ﷺ:

– فى ظلمة دون الجسر.

قال الحبر:

– فمن أول الناس إجازة؟

قال رسول الله ﷺ:

– فقراء المهاجرين.

استطرد الحبر:

– فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟

قال رسول الله ﷺ:

– زيادة كيد نون.

قال الحبر غير قانط:

– فما غذاؤهم على أثره؟

قال رسول الله ﷺ:

– ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها.

واصل الحبر أسئلته مغتاطا:

– فما شرايهم عليه؟

قال رسول الله ﷺ:

– من عين فيها تسمى سلسبيلا.

زفر الحبر وقد أفحم، فاسود وجهه من شدة الغيظ، وقال:

– صدقت.

جاء رسول الله ﷺ، ثعلبة بن الحارث وهو من يهود، ليوصل اللجاجة، فكأنه يواصل مقالة

الحبر، قال:

– يا أبا القاسم أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟

وهمس بما يضر فى نفسه قائلا، قبل أن يسمع قوله الحق: « إن أقر بها خصمته ».

قال رسول الله ﷺ :  
 - نعم، وتجدها فى كتابكم.  
 قال ثعلبة :  
 - نعم.  
 قال رسول الله ﷺ :  
 - والذى نفسى بيده إن أحدكم ليعطى قوة مائة رجل إلى المطعم والمشرب والجماع.  
 قال ثعلبة :  
 - الذى يأكل ويشرب يكون له حاجة !.  
 قال رسول الله ﷺ :  
 - حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فتضمر بطونهم.  
 جاءه يهودى، فقال :  
 - يا محمد أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟.  
 فلم يجبه رسول الله ﷺ بشىء، وانصرف اليهودى يزوم منتصرا؛ فجاءه جبريل عليه السلام  
 بأسمائها، فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهودى، يسأله :  
 - أتسلم إن أخبرتك بجواب سؤالك؟.  
 قال اليهودى فى تردد :  
 - نعم، أسلم.  
 قال نبي الله ﷺ :  
 - هى : حرثان، وطارق، والذبال، وذو الكنفات، وذو الفرغ، ووثاب، وعمودان، وقابس، والضروج،  
 والمصبح، والفيلق، والضياء، والنور، رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له.  
 قال اليهودى :  
 - هذه والله أسماؤها.  
 وهول منصرفا، ولم يسلم ! !.  
 حين سمع اليهود من رسول الله ﷺ قول الله تعالى :  
 ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [سورة البقرة - الآية ٢٤٥].  
 قال فنحاص أحد زعماء يهود، وهم فى المدارس :  
 - والله ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وأنا عنه لأغنياء،  
 وما هو عنا بغنى، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا أموالنا كما يزعم محمد، ينهاكم عن الربا ويعطيه  
 لنا، ولو كان عنا غنى ما أعطانا الربا.  
 وسمع أبو بكر بما قال فنحاص فضربه على وجهه ضربا شديدا، وقال له :

- والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله.  
وسمع رسول الله ﷺ بما حدث، فبعث إلى فنحاص يستدعيه، وواجهه بما حدث، وحاول  
فنحاص أن ينكر ما قاله لأبى بكر، فنزل قول الله سبحانه وتعالى مؤيدا للصديق فيما قال، مكذبا  
المنافق فنحاص:

- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَتُكَ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ  
بِعَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٨١].

٧

اجتمعت أحبار اليهود فى بيت المدراس، وقد زنى رجل محصن بامرأة محصنة، فقالوا  
لبعض منهم:

- خذوهما إلى محمد فإنه قد أمر بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم أخذنا بها واحتججنا بها  
عند الله، وقلنا فتيا نبي من أنبيائك، وإن كنا نعلم أنه ليس بنبي، ولكنه ملك قومه.  
فأتوا رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد، فقالوا:  
- يا أبا القاسم، هذا رجل زنى بعد إحصانه، بامرأة قد أحصنت، فاحكم، فقد وليناك  
الحكم فيهما.

فقال رسول الله ﷺ:

- ما تجدون فى التوراة؟

فقال اليهود:

- نفضحهما ويجلدان.

فأفتاهم نبي الله ﷺ بالرجم، فأنكروه، فلم يكلمهم، ونهض وصحبه إلى مدارسهم فوقف  
بالباب، وقال:

- يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم.

فخرج علماءهم إلى رسول الله ﷺ، فقال:

- أنشدكم الله الذى أنزل التوراة على موسى، ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد إحصان؟

قالوا:

- يحمم ويحبب.

قال عبد الله بن سلام:

- كذبتهم فإن فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة.

فجاءوا بالتوراة فنشروها، ووضع حبر كفه فوق آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله

ابن سلام:

- ارفع يدك.

فرجع الحبر كفه، فإذا آية الرجم ظاهرة.

قال عبد الله بن سلام:

- الله أكبر وصدق رسول الله ﷺ، والله يا رسول الله، إننا قد حدنا عن حدود الله لما فشى الزنا بين أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، وجلدناه، ثم أجمعنا على أن نأخذ بحد ينقذ على الغنى والفقير، فأجمعنا على التحميم والجلد، أما والله يا رسول الله إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك.  
فقال رسول الله ﷺ:

- اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه قديما بالشهوة.

٨

حين ضاقت باليهود سبل الانتصار بالمجادلة ولى الكلام، لم يملكوا إلا أن قالوا:

- نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى.

وأنزل الله عز وجل، على نبيه ﷺ:

- ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ [سورة البقرة - الآية ٩٤].

وذهب إليهم رسول الله ﷺ، وقال لهم:

- إن كنتم صادقين فى مقاتلكم، قولوا: اللهم أمتنا، فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه.

وأصيب يهود بهلع شديد، وزاغت منهم الأبصار، وعاتبوا رسول الله فيما قال، ولم يتمنوا الموت.

ونزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

[سورة البقرة - الآية ٩٥].

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا

يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِكَ شَيَّطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ [سورة البقرة - الآيات ١٥ : ٨].

نبت صنف جديد من البشر على الحياة، لم يكن موجودا في مكة، لأن المسلمين في مكة لم يكونوا قوة ترهب الذين لا دين لهم، ولكن الوضع في المدينة قد اختلف تماما عنه في مكة، فالمسلمون هنا قوة وكثرة ووحدة، ولذلك دخل الإسلام تظاهرا ورياء من دخل، وهم لم يؤمنوا، فكانوا أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من الكفار، ومن أهل الكتاب من يهود ونصارى، لأنهم كانوا يظهرهم غير ما يبطنون.

كان «نبتل بن الحارث» من الذين دخلوا الإسلام نفاقا، وكان يجلس إلى رسول الله ﷺ ثم ينقل كلامه إلى اليهود، وكان يقول:

- إنما محمد أذن، من حدثه شيئا صدقه.

فأنزل الله عز وعلما، قوله: ﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة التوبة - الآية ٦٦].

ولقد جاء جبريل رسول الله ﷺ، فقال له:

- إنه يجلس إليك رجل أذل، تآثر الشعر، أسفح الخدين، أحمر العينين، كأنهما قدران من صفر، كبده أغلظ من كبد الحمار، ينقل حديثك إلى المنافقين، فاحذره. وقد كانت هذه هي صفات «نبتل بن الحارث»، فطرده المسلمون من مسجد رسول الله ﷺ شرطودة.

١٠

جاء إلى المدينة وفد من نصارى نجران، في ستين رجلا فيهم أربعة عشر من أشرافهم، ومن بين الأربعة عشر هؤلاء فوضوا ثلاثة يتولون أمرهم هم: العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم، ولا يصدر عنهم أمر إلا عن رأيهم، واسمه: عبد المسيح، والسيد وهو منظم وقتهم، وإقامتهم وترحالهم، واسمه الأيهم، وأسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وهو أبو حارثة بن علقمة، وكان من أعلم قومه بأمور دينهم، حتى لقد بنى له الحكام الكنائس وجعلوا أموالهم طوع بنانه، تقربا إليه وتوددا، وطلباً لبركته.

توجه الوفد إلى مسجد رسول الله ﷺ، وانضم إليهم بعض نفر من أحرار يهود، لمجادلة رسول الله ﷺ في أمر دينهم، ولقد حل مع وصول النصارى ميقات صلاتهم، فقاموا إلى ركن من المسجد فصلوا إلى المشرق، فلما أراد بعض الصحابة التعرض لهم، قال لهم رسول الله ﷺ:

- دعوهم.

ولما انتهوا، أقبلوا على رسول الله ﷺ، وتحدث العاقب والسيد والحبر، وتحتاج الحضور، واختلف اليهود والنصارى حين قال اليهود: إن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، وقالت النصارى إنما كان إبراهيم عليه السلام نصرانياً، وقال نبي الله ﷺ بما تنزل من عند الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) هَاتَمْتُ هَتُولَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (١٨) ﴿[سورة آل عمران - الآيات ٦٥ : ٦٨].

فتناول واحد من أحبار يهود، قائلاً لرسول الله ﷺ:

- أتريد أن نؤمن لك، ونعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟.

قال رسول الله ﷺ:

- معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثنى الله، ولا أمرنى، يقول

ربى سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوَدِّعَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالشُّبُهَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا فِيمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (١٧) ﴿[سورة آل عمران - الآية ٧٩].

وتحدث النصارى فعرضوا ما يؤمنون به فى شعبيهم، فقالوا: إنهم فى مجموعهم يؤمنون بأن المسيح هو الله، وسبب ذلك عند بعضهم، أنه كان يحيى الموتى، ويبرىئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً؛ ويحتج البعض الآخر منهم بأن المسيح هو ابن الله، فلم يكن له أب يعلم، وقد تكلم فى المهد، وهذا جميعه لم يصنع لولد آدم من قبل؛ وهؤلاء وهؤلاء يجمعون بأن السيد المسيح ثالث ثلاثة، ودليلهم أن الله يقول فى الإنجيل حين يتحدث عن ذاته: فعلنا، وقضينا، وأمرنا، وخلقنا، ولو كان وحده لقال: فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم.

فصمت عنهم نبي الله ﷺ، فأنزل الله قراءنا فيما قالوا، فقرأه عليهم:

- ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١٩) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٠) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢١) وَتَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٢٢) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزَيِّتُ الْأَكْمَامَ

فلما سمعت النصارى ما تنزل من عند الله، اقشعرت جلودهم، وتغشستهم تجليات الحقيقة، فما عادوا يدرون من أمر أنفسهم شيئا، فران عليهم صمت عميق، ولم يلفظوا بكلمة؛ وحين وجه إليهم رسول الله ﷺ الدعوة، بأن يدخلوا في دين الله، ارتج عليهم، وقالوا ملاينين: - يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. وانصرفوا..

ولما خلوا إلى بعضهم، سألو العاقب:

- يا عبد المسيح، ماذا ترى؟.

قال عبد المسيح:

- والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمدا نبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل في صاحبكم، ولقد علمتم ما لآعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم، ولا نبت سترهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فلما ثار بينهم النقاش، انتهوا إلى رأى الغلبة منهم، وأقبلوا على رسول الله ﷺ، وقالوا في مودة: - يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعت معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فلكم عندنا رضا. فلما سمعت يهود بمسالتهم، ثاروا عليهم ثورة هائلة، وقالوا لهم:

- ما أنتم على شيء.

وردت النصارى على اليهود، قائلين:

- بل ما أنتم على شيء.

واشدت بينهم الخلاف واحتدم في شدة حتى تسابوا، ثم انصرفوا مغاضبين.

وتنزل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ [سورة البقرة - الآية ١١٣].

وحين تجهز وفد النصارى للعودة إلى ديارهم، تخير رسول الله ﷺ أبو عبيدة بن الجراح ليرافقهم، فيكون حكما فيما قد ينشب بينهم من خلاف، ومنذ ذلك اليوم أطلق على أبو عبيدة رضى الله عنه: حبر الأمة.